والتالي اقلّ نصوعاً من بقية الالوان فينتشران في الجوّ دون ان تغرزهما العين . فيبقى اللونان الازرق والاخضر لانّ الاخضر فانّ انكساره متوسّط وهو ناضر شديد السطوع كالزمرّد فالعين تنبهر من نوره على قدر ما يكون الافق صافياً خالياً من الكدورة

وربّما يحدث للشمس عند غروبها ان تتوارى خلف سحابة فحينما توشك السحابة ان تحجب نورها تماماً يسطع منها الشعاع الاخضر وهذا ممّا يؤيد قولنا في انحلال نور الشمس

وممّا كتبهُ في ١٤ ايلول المنصرم المسيو ليبرت (Libert) ناظر المرصد الفلكي في الهاثر انهُ رأى الشمس كأنّها خضراء وكان الجوّ في ذلك اليوم كدراً والضباب منتشراً في الافق الّا انهُ كان شفّافاً بحيث ان نور الشمس تحلّل فلاح قرصها كلهُ اخضر وظهرت الطبيعة بجلبيةٍ برداء من الخضرة نحو ربع الساعة وهو امرٌ غريب لم يُروَ مثلهُ من قبل ويمكن تعليلهُ بما سبق من الاقادات والله على كل شيءٍ قدير

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

ميخائيل الصبّاغ واسرته

انّ في هذه البلاد أسراً كريمة يرتقي بعضها الى مئين من السنين الّا انك اذا طلبت من اصحابها تاريخاً صادقاً وتفاصيل مدققة أحجموا عن ذلك ولاموا طوارئ الزمان التي اضاعت هذه الاخبار فادخلتها في خبر كان

وممن كنّا نودّ لو نعرف ترجمة حياتهم وندوّن مفصّلات اخبارهم واخبار اجدادهم احد الشرقيين من طائفة الروم الكاثوليك الملكيين اشتهر في باريس بآدابه وخدم العلوم الشرقيّة خدمةً مشكورة فكان ممن ساعدوا المستشرقين في نهضتهم لدرس آثار بلادنا ألا وهو الاديب الالمعيّ ميخائيل صبّاغ الذي قصفت المنون غصن شبابه رطباً فات منذ زهاء تسعين سنة وكاد اسمهُ يزل معهُ في قبره لولا بقايا قليلة وفوائد متفرّقة تُرى في بعض المكاتب الكبرى . فسعينا بجمع هذه الدرر لننظمها هنا في سلك واحد خوفاً عليها من الضياع

الطيف الشمسيّ والوانهُ السبعة

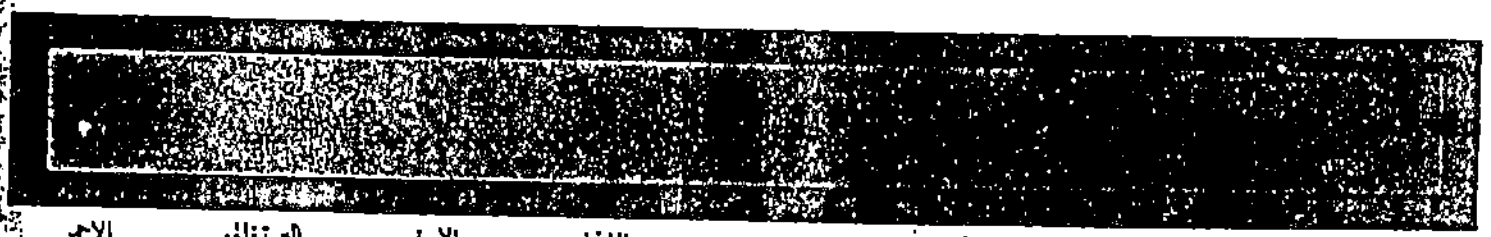

PHOTOLITHOG. DE L'IMPRIMERIE CATHOLIQUE

وبينما كنّا نتصفّح في خلال الصيف الماضي مخطوطات عاصية باثارية وقعت في يدنا اضابير اوراق منفرطة كتبها ميخائيل الصبّاغ بيده وفي جملتها اخبار بيت الصبّاغ منذ ظهورهم الى ايامه وقد توسع في الكلام عن جدّه ابراهيم الذي اشتهر في عكّا بصفة طبيب ظاهر العمر وكاخيته. فسُرِرنا اي سرور بوجود هذه الاوراق وتعجّبنا كيف وصلت الى مكتبة مونيخ فبقيت في زوايا النسيان. الّا اننا بعد البحث تبيّنا الامر وعلمنا ان احد المستشرقين الكبار وهو العلامة الفرنسوي دي كاترمار (de Quatremère) ابتاع قسماً من مخطوطات ميخائيل صبّاغ بعد وفاته. وكان دي كاترمار كلفاً بالآداب والكتب الشرقيّة فلمّا مات سنة ١٨٤٥ ابتاعت بلديّة مونيخ مكتبتهُ الثمينة وفي جملتها الاوراق التي نحن في صددها. وها نحن نذكر هنا خلاصتها مع ما امكننا الحصول عليه في مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وتواريخها المطبوعة. فنصف اوّلاً اخبار أسرة الصبّاغ الى ايام صاحب الترجمة. ثمّ نردفها بسيرة ميخائيل كما بلغت اليه معارماتنا. ونلحقها اخيراً بنبذة وجيزة في بيت الصبّاغ وتفرّقهم في انحاء الشام ومصر الى ايامنا

١

قال ميخائيل الصبّاغ في اصل اسرته ما ملخّصهُ: اصل هذا البيت من جبل كسروان من ناحية الشوير وذلك انهُ كان في تلك القرية انسان غنيّ مشهور بالتقوى يقال لهُ يوسف سرعي وكان غنيّاً لهُ مقدار ثلثي القرية وغلّة الحرير باجمعها. ثم انهُ زاد غناه فاشترى بقيّة القرية وكان ذلك سنة ١٦٣٠ للمسيح وكان يوسف من الروم الملكيين الكاثوليك شديد التعلّق بمذهبه وكان بينهُ وبين شيوخ بيت الخازن مودّة

وقام ابنهُ يوحنا من بعده فعُرف باسم يوحنا الصابغ الشويري تذكاراً لكنية القرية المشيّدة على اسم القديس يوحنا الصابغ. وخلّف يوحنا بنين وبنات وكان اسم بكره عبُّود وتقدّم عند الحكام وزوّج اخواته من بني عمه وكان لهُ ثلاثة اخوة يوسف وميخائيل وحبيب وكان حبيب اصغرهم

ثمّ حدث خلاف بين عبُّود وبني عمه ازواج اخواته فأنف الاقامة في الشوير ثمّ باع املاكهُ وارزاق اخوته وانتقلوا الى بيروت وكانوا كلهم اغزاباً. فاقام عبُّود مع اخوته برهةً من الدهر يتعاطى التجارة. ثمّ اختلف عبُّود واخوه يوسف فدفع لهُ قسمهُ وتركهُ في بيروت ومضى باخويه ميخائيل وحبيب الى صور. وكانوا مدّة اقامتهم في

بيروت غيّروا اسمهم فدعاهم الناس بيت الصبّاغ بدلًا من بيت الصابغ خفّةً . فاقام يوسف في بيروت ومنهُ العيلة المشهورة هنالك ببيت الصبّاغ

واردف ميخائيل الصبّاغ قائلًا: ثمَّ انَّ عبُّود مضى الى صور واقام فيها وفتح بزركان مع لخويهِ الّا انَّ الامور لم تجرِ على حسب مرامهِ في تلك البلدة فقصد ان يرحل الى عكّا ليتوطّنها ولمّا امتنع عليهِ اخوه ميخائيل اعطاه قسمهُ وقدم عكا مع اخيهِ حبيب سنة ١٧٠٠ وتعاطيا البيع والشراء

وكان عبُّود رجلًا تقيًّا جدًّا فنذر بتوليتهُ لله ولم يتزوّج طول عمرهِ . وكان يهتمّ بامور اخيهِ حبيب ويربّيهِ كولده وزوّجهُ بابنة من عكّا معروفة بالكمال وخوف الله . ثمَّ ارسلهُ الى دمياط فبقي فيها تسع سنين . وولدت لهُ امرأتهُ ابنين الياس وابراهيم ومات الياس صغيرًا بالجدري . لما ابراهيم فانهُ ولد نحو سنة ١٧١٥ ونشأ في حجر عمهِ

وقد ذكرنا في المشرق (٧: ٩٥٨ و ١٠٠٣) رحلة خليل الصبّاغ الى طور سينا سنة ١٧٥٣ وكان سفرهُ اليهِ من مصر كما ذُكر. وخليل هذا من بلاد الشام كما يؤخذ من كلامهِ والفاظهِ الشامية واشارتهِ لبعض اهل الشام ولعلّهُ كان من اولاد حبيب المذكور لكنّنا لم نجد لهُ ذكرًا في اوراق ميخائيل الصباغ

ولما صار عمر ابراهيم الولد سبع سنين ارسلهُ عمهُ عبُّود الى دير مار يوحنا الشوير ليتأدّب ويتخرّج فيهِ على رهبانهِ الذين كانوا اجتمعوا فيهِ منذ نحو عشرين سنة منقطعين للعيشة النسكيّة . فعاش عندهم مدّة واخذ عنهم الآداب العربيّة ومبادئ العلوم

وكان في دير الشوير راهب بارع بالطبّ وهو الاب بروكوبيوس كان اهل الجبل يقصدونهُ من كل فجّ ليعالج امراضهم . فلمح من ابراهيم الصبّاغ ذكاءً عجيبًا وذهنًا وقّادًا فاخذ يلقّنهُ اصول الطبّ فاقبل ابراهيم على درس هذا العلم اقبالًا عظيمًا حتى انَّ معلّمهُ كان يفتخر بهِ قائلًا: « انَّ ابراهيم لجدير بان يُنظم في سلك اكبر اطبّاء اليونان » وعليهِ اخذ اسمهُ ينتشر في بلاد الشام وشفى كثيرين من امراض اعتاصت على غيره

ومما زاده شهرةً ان ظاهر العمر الشهير مرض في تلك الاثناء مرضًا عضالًا عجز عنهُ طبيبهُ سليمان صوّان الرومي الارثذكسي فاشار اليهِ يوسف قسيس الرومي الملكي كاخية ظاهر ان يرسل ويدعو ابراهيم الصبّاغ لعلّهُ يشفي سيّدهُ . ففعل سليمان وطلب ابراهيم فلمّا جاء اسرع الى معالجة ظاهر فشفاه بزمن قليل

فاحسن ظاهر الى ابراهيم الصبّاغ واجزل اليهِ العطاء واختاره كطبيبهِ الخاصّ وكاخيتهِ . اما ابراهيم فلمّا رأى انّ الله وفّقهُ اراد ان يقوم بنذرٍ كان ابرزه وهو ان يبني كنيسة لاهل ملّتهِ فكتب لاسلامبول وطلب الرخصة اللازمة فنال طلبتهُ وبنى في عكا كنيسة على اسم ماري اندراوس على نفقتهِ وكان تكريسها سنة ١٧٦٠ مسيحيّة واستأذن من البطريرك بان يرسل اليهِ كاهناً تقيّاً كان اتخذه كمعلّم ذمّتهِ لما كان في دير مار يوحنا الصابغ فلبّى البطريرك دعوتهُ . وكان ابراهيم كثير التقوى يقوم بعد نصف الليل بثلاث ساعات فيحضر القدّاس ويذهب الى شغلهِ عند مولاه

وولد لابراهيم اربعة اولاد وهم حبيب ويوسف ونيقولا وعبّود . فلما كبروا جعل حبيباً تاجرًا (١ وشاركهُ باحد الروم الملكيين من كبار التجار في عكا وهو عبد النور . وجعل يوسف في خدمة الدولة لانّ اخلاقهُ كانت ملائمة لذلك . واما نيقولا فولّاهُ على نظارة الاغلال واشغلهُ معهُ في الطبّ ليخلفهُ في هذه المهنة . واما عبّود فرتّبهُ على المصبنة التي انشأها في عكّا سنة ١٧٦٨ . وقد ذكر لنا جناب الوجيه حبيب افندي صبّاغ ولدًا آخر لابراهيم وهو الياس ابو جدهِ ولم نجد لهُ ذكرًا في اوراق ميخائيل الصبّاغ

ثم انّ ابراهيم شرع في بناية داره بعكّا فصرف عليها مالًا كثيرًا . وقبل نجازها بقليل ماتت والدتهُ سنة ١٧٧١ وقد ناهزت على سنّ السبعين وكانت كثيرة التقوى والصلاح

وكان لابراهيم الصبّاغ اصدقاء عديدون من اهل الوطن وغيرهم منهم الكونتي جوانّي المسكوبي فهذا لعظم اعتباره لابراهيم اعطاه ثلاث صور من التصوير العجيب تمثّل الواحدة السيدة العذراء والثانية القديس نيقولاوس والثالثة مار جرجس

وكان يأتيهِ اهل الحاجات فيلتجئون اليهِ منهم اعيان تجار الشام من الروم الكاثوليك من بيت الكحيل الذين رُزئوا بالمهم فقصدوه في عكا فاترلهم بيتهُ وطيّب خاطرهم وردّهم الى موطنهم بخمسمائة كيس . وكذلك تغيّرت احوال احد ابناء طائفتهِ من اهل حمص يقال لهُ عبّود البحري فاتى عكّا بعيالهِ فقبلهُ باعتبار وتبنّى ابنهُ ميخائيل فردّ عبّود مجبورًا الى حمص وبقي ميخائيل عنده ليربيهُ (راجع ترجمة ميخائيل البحري في المشرق ٣ : ٩٦٣ — ٩٢٢) . وممن ساعدهم ايضاً ميخائيل فخر الذي صار بعدئذٍ مقدّماً في دواوين مصر . وميخائيل الجمل الرومي الملكي وغيرهم

(١ وقد وجدنا في تاريخ جبل الكرمل انّ حبيباً هذا كان وكيلًا لرهبان الكرمل

وبلغ خبر ابراهيم الصبّاغ الحبر الاعظم اقليمس الثالث عشر فسرّتهُ غيرتهُ في تعزيز الدين الكاثوليكي فارسل لهُ صليب الشرف مصحوبًا بهدايا فاخرة

وقد مرَّ في المشرق (٣: ١٠—١١) كيف تغيَّرت احوال ابراهيم الصبّاغ وكيف كان موتهُ سنة ١٧٧٦ بعد عمر الظاهر . وفي خزانة كتبنا الشرقيَّة كتاب طبّي موسوم « بالاسباب والعلامات » خطّ من نحو ثمانين سنة جاء في اوَّلهِ انهُ « نُسخ وقوبل عن كتاب بخطّ المعلم الجليل والماهر البليغ بقنّ الطبّ المرحوم ابراهيم صبّاغ بمدينة عكا الذي لسبب عدم وجود كل ديباجتهِ يُظنّ انهُ تأليفهُ وكان جلّ اعتماده عليهِ » وقد اثبت حضرة الاب كولنجت في المشرق (٤: ٧٩٠) انَّ الكتاب ليس لهُ بل لنجيب الدين محمّد السمرقندي وانَّما زيد عليهِ بعض فوائد كوصفهِ (ص ١٨٣) « للماء المستقطر المدعو مليسا المستخرج من الرهبان الكرمليتانيين الحافين في دير مار الياس الكرمل ». هذا وقد ذكر لهُ ابنهُ عبُّود اعمالًا عجيبة تدلُّ على براعتهِ في الطبّ وحسن تشخيصهِ للامراض ومعالجتها

امَّا اولادهُ فتفرَّقوا من بعده لا نعلم من امرهم الَّا شيئًا نزرًا . وممَّا يُحفظ في خزانة كتب باريس (Mss. Arabes,n° 4610) تأليف لعبُّود الصبّاغ يُدعى « الروض الزاهر في تاريخ الظاهر » استنسخنا قسمًا منهُ لفوائده ويظهر من خلال كلامهِ انهُ ليس بعبُّود بن ابراهيم بل هو احد حفدائهِ . يدلُّ على ذلك تسميتهُ ليوسف بن ابراهيم عمًّا لهُ . ويستفاد من هذا الكتاب ان يوسف هذا ابن ابراهيم نال حظوى عند كريم الايوب في يافا فجعلهُ وكيلًا على اشغالهِ . ثم قام عليهِ بعض اعدائهِ ففرَّ هاربًا منهم الى ان دخل صور في قصَّة طويلة رواها عبُّود في التاريخ المذكور . وممن جاء ذكرهم من بيت الصبّاغ في اوراق ميخائيل الاب سمعان الصبّاغ كان ابراهيم يرسلهُ لبعض شؤونهِ ونظنُّهُ انهُ كان من ابناء اخوتهِ وانتظم في سلك الرهبان الشويريين

وكذلك وجدنا في تاريخ الرهبان المخلصيّين اسم القس انطون صبّاغ عاش في ايَّام ابراهيم الصبّاغ ولا نعلم اكان من اقاربهِ او لا . والقس انطون المذكور درس في رومية في المدرسة الاوربانيَّة ولهُ ذكر في تاريخ رهبانيَّتهِ

هذا ما امكننا الحصول عليهِ من تاريخ اسرة الصبّاغ قبل ميخائيل الذي اردنا ذكره خصوصًا في مقالتنا الحاضرة

٢

وُلد ميخائيل الصبّاغ نحو سنة ١٧٧٥ (وهذا اصدق مما كتبهُ صهبرت في كتابهِ التقاط الازهار (ص ٣٩٤) انهُ ولد نحو ١٧٨٤) وهو حفيد ابراهيم الصبّاغ طبيب ظاهر العمر السابق ذكره واسم ابيهِ نيقولا بن ابراهيم الصبّاغ وكان مولدهُ في عكّا وقضى اوّل سنيهِ في دمشق وكان الولد شديد الكلف بالعلوم فدرس مبادئ اللغة في المدارس البدائيّة ثمّ تخرّج بالآداب على اهلهِ وبعض المعلّمين الوطنيين واتقن اللغة العربيّة وفنونها من صرف ونحو وبيان وعروض وانشاء وكان عارفاً بلهجات العامة في بلاد الشام ولهُ في كل ذلك تآليف ومطالعات كما سترى

وذكر في كتابهِ المعنون بالرسالة التامة (ص ٧٣) انهُ دخل القطر المصري ودرس على اساتذتهِ . وممّن ذكرهم في كتابهِ سعاة الحمام في تاريخ سنة ١٧٩٠ الشيخُ يوسف الخراشيّ . ثم زار الصعيد سنة ١٧٩٢ واستدعاه رئيس دير المحرّق الكائن فوق البلد الذي يقال لهُ بني عليّ فاقام فيهِ ضيفاً وسمع بعض رهبانهِ يتكلمون باللغة القبطيّة

ثمّ عاد الى بلاد الشام ومرّ بصور سنة ١٧٩٤ كما ذكر في رسالتهِ السابق ذكرها (ص ٨) . ثمّ اضطرّتهُ الاحوال الى ان يعود الى مصر فتنقّل في مدنها كالقاهرة ودمياط واسيوط . واجتمع بشيوخ القطر المصري وعلمائهِ منهم الاستاذ البارع الشيخ سليمان السبع . وكذلك تعرّف بأليوس بُقطر القبطي مذهباً الاسيوطي مولداً الذي كان نابوليون اتخذه كترجمانهِ الخاصّ . فربطت بينهما اواخي الحبّ وصفاء المودّة . وكان أليوس يبث همة صديقهِ ويعهد اليهِ بالكتابات والتآليف فيجيب ميخائيل الى دعوتهِ

وممن اجتمع بهم في مصر الجنرال الفرنسويّ رينيه (Regnier) فقدّر هذا قدرهُ وسُرّ بسعة معارفهِ فاتخذه لهُ كاتباً . ولمّا عاد الجنرال الى باريس سنة ١٨٠١ عرض على ميخائيل أن يصحبهُ الى باريس فرضي بذلك

وكانت الدروس الشرقيّة في ذلك الوقت قليلة الانتشار في الاصقاع الاوربيّة لم يُعرف منهم الّا القليلون بينهم العلّامة الجليل والكاتب البليغ واللغوي الضليع البارون سلوستر ديساسي الذي كان يقصده الطلّاب من انحاء اوربّة ليدرسوا عليهِ الآداب الشرقيّة . فما كاد يرى ميخائيل حتى جعل عليهِ نظره وساعده ما امكنهُ

في تحصيل معاشهِ وكان اذا احتاج الى معرفة احوال الشرق وعادات السوريين والمصريين يلتجئ اليهِ ويركن الى قولهِ . وقد شكره غير مرَّة في تآليفهِ

وكان تلامذة دي ساسي يقصدون ميخائيل ويستفيدون من معارفهِ وهو لا يضنّ على احد منهم بشيء . وقد اثنى عليهِ المستشرق الالماني الشهير الذي كان وقتئذٍ في باريس فقال عنهُ في مقدّمة كتابهِ الذي عنوانهُ « عجلة القصائد الشرقيَّة » (Carminum Orientalium Triga) « كان ميخائيل صبّاغ المكّاوي كثير الاطلاع على آداب وطنهِ وقد عهدت بهِ رجلاً اريحيّ الاخلاق جزل المروءة وكان في كل وقت مستعدًّا ليؤدّي لي كلّ ما شئت من الخدم ويطلعني على ما لديهِ من المخطوطات ويشرح لي ما اعتاص عليَّ فهمهُ بكل لطف ومجاملة وقد نسخ لي كتبًا شتَّى »

وكذلك ذكره الالماني شنُورر غير مرَّة في مكتبتهِ الشرقيَّة (Bibliotheca arabica p. 491) والمستشرق الفرنسوي لنغلس (Langlès) في مقدّمة اسفار السندباد البحري وقد دعاه همبرت في كتابهِ « التقاط الازهار في محاسن الاشعار » استاذه واقرَّ انهُ قيد معروفهِ (١ واثبت هناك خلاصة حياته

وكانت المطبعة الفرنسويَّة العموميَّة في حاجة الى صفّاف في اللغات الشرقيَّة ومصحح لمطبوعاتها فاختارت لهذه المهنة ميخائيل صبّاغ وبقي فيها مدَّة يخدم الفنون الشرقيَّة خدمةً صادقة

ثمَّ احبَّت الحكومة الفرنسويَّة جزاءه فجعلتهُ في عداد كتبة المكتبة الملكيَّة وناظرًا لمخطوطاتها الشرقيَّة ومصلحًا منها ما اتلفهُ الزمان

وكان ميخائيل مع شغلهِ هذا نشيطًا منكبًّا على الدرس والتأليف ونقل المخطوطات الثمينة . فممَّا ألَّفهُ كتابهُ في حمام الزاجل دعاهُ « كتاب مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام » اهداه للامبراطور نابوليون الاوَّل وجمع فيهِ ما يختصّ بهذا الموضوع الشائق بخمسة فصول فعرَّف سُعاة الحمام وانواعها وطباعها ومزاجها ثمَّ بيَّن اوَّل من اتخذها وطرائق تربيتها وتعليمها وما جاء من نثر ونظم في وصفها . وهذا الكتاب طُبع في باريس سنة ١٨٠٥ ونقلهُ الى الافرنسيَّة سلوستر دي ساسي . ثم نقل هذا الكتاب الى الايطاليَّة الاستاذ كاتانيو (A. Cattaneo) ونشره في ميلانو سنة ١٨٢٢ . وكذلك

١) راجع Humbert : *Anthologie arabe*, Paris 1819, p. 291-293

ترجمهُ الى الالمانيَّة لُرسباخ (Lorsbach) وطبعهُ في هربُرن سنة ١٨٠٦ ثم كرَّر طبعهُ المسيو لوپر (G. Löper) واضاف اليهِ ملحقات وطبعهُ في ستراسبورغ سنة ١٨٧٩

ومن تأليفهِ ايضاً كتاب فريد في جنسهِ لم يسبقهُ اليهِ احد دعاه « الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في احوال الكلام الدارج » عثرنا عليهِ في مكتبة مونيخ في رحلتنا الحديثة الى اوربَّة واستحسنَّاه وودِدنا لو نُشر بالطبع لفرائده . ثمَّ علمنا بعد ذلك بان الدكتور توربكه (H. Thorbecke) الشهير قد سعى في طبعهِ منذ سنة ١٨٨٦ فنشرهُ في ستراسبورغ في احدى مطابع غوتا . وهذا الكتاب ألَّفهُ ميخائيل صبَّاغ سنة ١٨١٢ اجابةً لدعوة صاحبهِ أَلويس بُقطر وضمَّنهُ في عشرة ابواب كل ما يختص باللغة العاميَّة مباشرة بتاريخها قبل الهجرة ثم يذكر كل ما يطرأ عليها من الاختلافات في ألسُن العامَّة كحذف وزيادة وقلب وتقديم وتأخير ودخيل ثمَّ يبحث عن كل مباحث اللغة كالاسماء والضمائر والافعال والحروف وتصرُّف العامَّة بها وربَّما قابل بين اللهجات المختلفة في الشام ومصر والحجاز والمغرب. ويختم هذه الفصول بجدول واسع لعدَّة الفاظ عاميَّة نظَّمها على ترتيب حروف المعجم وشرحها . وممَّا اثبتهُ في اخر كتابهِ نبذة حسنة نورد اسطرًا منها لفائدتها قال (ص ٧١–٧٢) :

اعلم اننا تصفَّحنا كثيرًا من التواريخ فوجدنا ان اهل الشام من قديم كانت لغتهم السريانية وبقوا فيها الى دخول اليونان فكانت مخاطبة العامة بالسريانية والاعيان . . . كانوا يتكلمون باللغتين لاقترابهم في ذلك . . . . . وبقي ذلك الى مجيء الاسلام فصارت تتناقص اللغة السريانية قليلًا قليلًا حتى صار جميع البلاد يتكلمون بالعربية وعدمت اللغة السريانية من جميع الشام . غير اني كنت سمعت الاب الفاضل الخوري ميخائيل عراج ركن رهبنة دير الخاص يقول الى عمي الياس حين سألهُ عن ذلك فقال انهُ رأى في اقليم من الجبل اسمهُ المتن فيهِ بيشان او ثلاثة لم يزالوا حافظين لغتهم السريانية (١ ويتكلمون مع بعضهم بها . . . . فكذلك كانت البلاد المصريَّة لغتهم الدارجة بينهم كما رأيناه عن المقريزي والواقدي وغيرهما انما كانت اللغة القبطية ولما صارت حكامها من اليونان اضطرت اهالي مصر ان يحسنوا اللغتين وصاروا يتكلمون بهما الى ان اتى الاسلام وتناقصت اللغة القبطية وتزايدت اللغة العربيَّة الى ان عمَّت في الجميع

ثم انَّ لميخائيل الصبَّاغ تآليف اخرى لا تزال مخطوطة منها تاريخ لقبائل اهل البادية ومنها تاريخ آخر لبلاد الشام ومصر . وقد ذكرنا في اوَّل مقالتنا اضابير مخطوطة تصان

١) ومن المشهور انَّ اهل معلولة وبعض القرى المجاورة لا يزالون يتكلمون بالسريانية الى اليوم

في مكتبة مونيخ فيها منتخبات ومقاطيع ادبيَّـة وتاريخ ابراهيم الصبَّاغ جدّه ومختصر تاريخ طائفة الروم الكاثوليك

ومن آثار ميخائيل الصبَّاغ ايضاً كتابٌ وضعهُ للعلَّامة سلوستر دي ساسي في الشعر وفي العروض وملحقاته كالزجل والموشَّح والموالِيا (١

وقد نظم ايضاً ميخائيل الصبَّاغ بعض قصائد وموشَّحـات الَّا ان شعره دون نثره ومما روى لهُ همبرت في كتاب التقاط الازهار (ص ٣٤) قولهُ يصف جواداً :

وطِرْفٍ يفوتُ الطَّرف موضعُ وضعهِ اذا سار خلتَ الريح والبرق ردفهُ
ترى ادهماً ذا غرَّةٍ ومحجَّلاً دُجى البرِّ والبدرُ بالزُّهر حفَّهُ

ومن نظمهِ قصيدة انشدها لوزير العدليَّة لمَّا زار المطبعة العموميَّة وهي طُبعت سنة ١٨٠٣

ولمَّا قدم البابا بيوس السابع باريس في اواخر سنة ١٨٠٤ لتتويج نابوليون الاوَّل قال ميخائيل يمدحهُ في قصيدة رائيَّة طُبعت سنة ١٨٠٥ طبعاً جميلاً وهذا اوَّلها :

دهشتْ لرؤية وجهك الابصارُ وأضَتْ لرأية مجدك الابصارُ
هذي العروسة يا سليمان انجلت في حسنها ولها الفخارُ شعارُ

ومنها :

اليوم تحسدنا الملائك في السما لما ترى مما العقول تحارُ
ساح نواظرنا اذا بك كرَّرت نظراتها او زادها التكرارُ

وقد طُبع لهُ قصائد اخرى منها قصيدة انشدها نابوليون يوم زواجهِ سنة ١٨١٠ ونقلها الى الافرنسيَّة سلوستر دي ساسي . ولهُ نشيد قالهُ في ميلاد ابنهِ الذي دعاه ملك رومية اوَّلهُ :

هلِّلوا في الارض يا كلَّ الامم واهتفوا فيها بالحسان النغم

وهذا النشيد طبع سنة ١٨١١ ونقلهُ الى الافرنسيَّة گرانجره دي لاگرانج . ولمَّا صار الملك لويس الثامن عشر مدحهُ ايضاً ميخائيل صبَّاغ بنشيد قال في اوَّلهِ :

انْ نَطِرْ حقّاً سروراً لا عجبْ

---

١) راجع الجزء الاول من فاتحة مكتبة دساسي Catalogue de la Bibl. du Baron de Sacy, Freytag : Darstellung d. arab. Verskunst. p. راجع ايضاً I, (Mss ar. n° 133) 458

ومن راجع هذه القصائد يرى انَّ ميخائيل الصبَّاغ لم يحسن فنَّ الشعر وانَّما الاوربيُّون كانوا يجدون في نظمهِ تشابيه شرقيَّة ومعاني مبتكرة فيروق لهم شعره لاسيَّما بعد نقلهِ الى لغتهم

ولم تكن الاعمال التي ذكرناها بكافية لنشاط ميخائيل الصبَّاغ فانهُ كان يقضي لياليهُ في نسخ الكتب العربيَّة العزيزة الوجود ليعدَّها للطبع او ليخدم بنقلها المستشرقين كديساسي وكوسين دي پرسڤال وكوسفارتن وبودوف (Baudeuf) . وقد بلغ عدد هذه النُّسخ نيِّفاً وستين مجلَّداً كما ذكر هومبرت (ص ٢٩٣) قال : « وبعض هذه المنسوخات كبير الحجم متعدّد الاجزاء » لكنَّهُ لم يذكر منها شيئاً . ومما وجدناه في قائمة كتب ديساسي وقائمة المكتبة الصوميَّة في باريس وغيرهما الكتب الآتية : الاغاني لابي الفرج الاصفهاني . ومجمع الامثال للميداني . ومقامات الحريري . وكتاب المسالك والممالك للبكري . والمشترك ياقوت الحموي . وتقويم البلدان لابي الفداء . وعجائب الآثار للجبرتي . وكليلة ودمنة . والمعلَّقات . وديوان امرئ القيس كما روى ذلك دي سلان في مقدَّمة طبعتهِ . وحماسة ابي تمام . فحسبك بذكر هذه المخطوطات شاهداً على همَّتهِ القعساء وحرصهِ على آثار العرب وتآليفهم

وكانت وفاة ميخائيل الصبَّاغ في باريس سنة ١٨١٦ قيل انهُ مات فقيراً لم يترك ما يقوم بنفقات جنازتهِ الَّا انَّ اصحاب الفضل لا يضيع اجرهم عند الله . وكان لميخائيل من العمر على ما نظنّ نحو احدى واربعين سنة وعلى رأي هومبرت ومن تبعهُ ٣٢ سنة وهذا قول لا يوافق ما ورد من اعمال حياته نقلاً عن تآليفه . وعلى كل حال فانَّ الله استأثر به كهلاً في عزّ شبابه . وليس لدينا دليل على انهُ اقترن بالزواج

٣

يقي علينا ان نلحق ترجمة فقيد الآداب العربيَّة المرحوم ميخائيل صبَّاغ بكلام قليل عن أُسرة الصبَّاغ من بعدهِ . وقد ذكرنا سابقاً تأليفاً لعبُّود الصبَّاغ في تاريخ عمر الظاهر يُحفظ في خزانة كتب باريس ولا نعلم أكان عبُّود المذكور عمَّهُ المعروف بهذا الاسم او احد ابناء عمه

وغاية ما امكننا تحصيلهُ من الافادات في نسب هذه الاسرة هو ما رواه لنا جناب حبيب افندي صبَّاغ من اعيان الروم الكاثوليك في الشرّ . قال انَّ العائلة الصبَّاغيَّة

هي اليوم في بلاد مصر والشام . ثم افادنا انّ الياس بن ابراهيم الصبّاغ الذي اثبتنا اخباره آنفاً خلّف ولدين وهما يوسف وسمعان الصبّاغ

وولد لسمعان ميخائيل الذي توفّي في بيروت دون عقب . ثمّ جبران وهو طبيب في مصر . ثم الياس وقد نال رتبة بيك وهو متوظّف في الحكومة المصريّة

اما يوسف بن الياس فخلّف اربعة اولاد حبيب والياس وابراهيم وميخائيل وقد مات الياس صغيرًا . وصار لحبيب بن يوسف وهو التاجر الفاضل المعروف اربعة اولاد وهم خليل وابراهيم والياس وميشال انتقل منهم الى ربّه خليل وميشال . وخلّف المرحوم ابراهيم يوسف وابراهيم وعبدالله وفيليب وهم يسكنون دمشق الشام . وولد لميخائيل سليم ولهُ عدّة بنات ويوسف الذي اولد خليلًا

ومن هذه الاسرة كان اثناسيوس صباغ الذي ترأس على الرهبانيّة الحلصيّة مدّة ثمّ صار اسقفاً على عكّا في نيسان من سنة ١٨٩٤ وتوفّي في اوائل حزيران ١٨٩٩ ولا نعلم سلسلة نسبه الى ابراهيم الصبّاغ

وكذلك في مصر تجّار من بيت الصبّاغ انتقلوا الى هناك وتوفّقوا في اشغالهم نعرف منهم انطون صبّاغ الذي تاجر بالجلود وعمر بناية في صوفر . ولهُ اخوان اسم احدهما حنين . وفي طنطا من هذا البيت ايضاً الخواجا جبران صبّاغ وابن اخيه ابراهيم

هذا ما استطعنا جمعهُ من نسب هذه الاسرة الكريمة ونحن نطلب في الختام ان يرسل الينا المطّلعون على هذه المقالة من بيت الصبّاغ ما يسدّون به الخلل الواقع في اثنائها . وليس الكمال الّا لله

ميمر للقديس يوحنّا فم الذهب في ميلاد الرب

عُني بنشره الاب انطون رباط اليسوعي

نقلًا عن نسختين مخطوطتين

افضل شيء نذكره لقرّائنا في عيد الميلاد وبيان شرفهِ الوسيم الميمر الآتي للقديس العظيم يوحنا فم الذهب ننشره لاول مرّة نقلًا عن ترجمة عربية لياس القديسين موجودة في المكتبة الشرقية بكلية القديس يوسف في كتابين خطيين يرتقي عمر احدهما الى السنة ١٢٥٥ للشهداء والثاني الى نحو ثلاثمائة سنة والاصل اليوناني قد اثبتهُ مين في مجموع الآباء اليونان (ج ٥٦ ص٣٨٦-٣٩٤) . اما تعريبهُ فهو على ما ترجّح لعبد الله بن الفضل الانطاكي في القرن الحادي عشر . قال القديس :